قراءة جديدة في كتاب مَجمع الأمثال للميداني (ت518هـ)

د. سرى سليم عبد الشهيد المعمار أ.م.د. زينة غني عبد الحسين الخفاجي
جامعة بابل/ كلية الادارة والاقتصاد جامعة بابل/ كلية التربية الأساسية

A new reading in the book Proverbs of the Proverbs of the Field (v518e)

Dr. Sura Salim Abdul Shaheed Al Mimar
College of Management and Economics\ University of Babylon
Dr. Zeina Ghani Abdul Hussein Al Khafaji
College of Basic Education\ University of Babylon

Abstract

The proverbs are prominent prose styles that are easy to memorize, and have a lot of circulation on the tongues, and are devoured by the methods of writers and poets, because they carry many meanings in a few words and a distinct formulation, and the wisdom, experiences and values that can be represented throughout the ages.

It has not been specialized in this art of saying the nation without other nations, and no one to claim knowledge of its origin and origin, but it settled in people. In its entirety, presented to the Arab Library a collection of works that collected many Arabic proverbs with its interpretation of the accompanying stories and stories.

Keywords: Proverbs, Prose, Proverbs.

الملخص:

تعد الأمثال من فنون النثر البارزة التي يسهل حفظها، ويكثر دورانها على الألسنة، وتترصع بها أساليب الأدباء والشعراء، لما تحمله من معان كثيرة في كلمات قليلة وصياغة متميزة، ولما تتضمنه من حكمة وتجارب وقيم يصلح التمثل بها على مر العصور.

ولم تختص بهذا الفن من القول أمة دون غيرها من الأمم، وليس لاحد ان يزعم معرفة أوليته ونشأته، بيد انه استقر عند الناس فالأمثال ظاهرة قولية قدمة متجددة، عرفها العرب منذ الجاهلية وحظيت بعناية العلماء منذ بدايات التدوين، فحاولوا جمع ما اشتهر منها في مصنفات اختلفت مناهجها في الجمع، إلا إنها في مجملها قدمت للمكتبة العربية دسماً من المؤلفات التي جمعت الكثير من الأمثال العربية مع تفسيرها عما رافقها من قص وأخبار.

الكلمات المفتاحية: الأمثال، النثر، مَجمع الأمثال.

المعروف لدى الباحثين ان كثيراً من كتب الأمثال قد فُقِد ولم يصل إلينا وما بقي منها إلا الأخبار يقول الجاحظ: ((ما تكلمت به العرب من جيد المنثور، اكثر مما تكلمت به من جيد المزون فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره))[1].

ولاشك في إن هذه المقولة تفصح عما احدق بالنثر العربي من إهمال، وتغيب، وضياع لا تتناسب جميعا مع ما امتلكته فنون النثر العربي من مظاهر شعرية ودلالية عميقة تستأهل عناية تتجانس معها واذا ما كانت خطوط هذه الإشكالية ترتبط بالأنواع النثرية القديمة الكبرى عامة ومنها الخرافة، السيرة، المقامة، فان للمثل خصوصية إشكالية مضاعفة تتأتى من تشتت مرجعية المثل خاصيته الإبداعية لتنسجه في حقول اللغة، والمأثورات الشعبية، أو الدراسات الاجتماعية.

ولم يحظ المثل طبقا لهذه النظرة، ولهذه الاهتمامات العامة بما يستحقه من عناية نقدية–ادبية تتناوله بنائيا أو أسلوبياً او سردياً ما خلا العناية به بوصفه أنموذجاً للاستشهاد البلاغي لما يتسم به من كثافة بيانية، وطاقة إيجاز عالية، وفي تقدير أنموذجاً للنثر النبي العربي وحسب.

1 البيان والتبين، الجاحظ: 287

وطبقاً لذلك نجد ان المثل عانى من غربة نوعية، وهو يتنقل بين مجالات دراسات متنوعة، أضاعت جوهرها الإبداعي المتميز، وبدت الحاجة واضحة إلى تجنيس المثل بوصفه نوعاً نثرياً يدمج بين فاعليتي الشكلين بين الشكل النثري الابداعي الخالص، والشكل السردي المرتبط بالقص والحكي والمتعلق بقصة المثل.

ويكاد يكون مَجمع الأمثال ـ موضوع البحث ـ أوسع معجم للأمثال العربية، واشهر كتب الأمثال طرا، وقد حظي بالقبول والذيوع، حتى ار عدة الباحثين، وقد عده المستشرق الألماني زلهايم أوسع مجموعة للأمثال القديمة، بعد مقابلة نصه بنص الزمخشري[1].

وأثرت في هذه الدراسة لمجمع الأمثال تقسيمها على قراءتين الاولى قراءة خارجية تتناول كل ما يتعلق بدلالتي المثل اللغوية والاصطلاحية، وبمؤلف الكتاب (الميداني)، وكتب الأمثال، والتعريق بمؤلفاتها، ونظرة الى صنفي الأمثال الكبرين القديمة والمولدة.

اما القراءة الثانية فهي (القراءة الداخلية) وقد سلطت الضوء على مجمع الأمثال من زوايا نظر نقدية حديثة، تتعلق بإشكالية النوع، ومنهج الكتاب، وقراءات أسلوبيه في نصوص المثل.

القراءة الخارجية:

نظرة في دلالة المثل:

المثل في اصل كلام العرب بمعنى المثل او، النظير[2]، ويعرف الميداني المثل "بانه الانتصاب فقولهم ((مثل بين يديه)) اذا انتصب، ومعناه اشبه بالصورة المنتصبة، والمثال القصاص لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول، فحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه مجالا الاول، كقول كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

وما مواعيدها إلا الأباطيل

مواعيد عرقوب: تعني علم لكل ما لا يصلح من المواعيد[3]

والأمثال اصطلاحاً هي الحكمة الناتجة عن تجربة،' وهو كناية غير تصريح، وتجتمع فيه ثلاث خلال هي: ايجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه[4].

وهو عند المبرد قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، فهو يقف عند حد التشبيه في المثل بقوله ((قول سائر))[5].

أما البلاغيون فالمثل لديهم: ((حالة خاصة من حالات التمثيل، وهو يقف عند حد تشبيه او استعارة، اخذ وجه الشبه فيه من متعدد وهو صورة استعارية، فاذا شاع هذا التمنثيل، على الألسنة سُمي مثلاً))[6].

وطبقاً لهذا الفهم نجد ان الدلالة الاصطلاحية للمثل لم تخرج عن الدلالة اللغوية، فالمثل ينتصب ويقف مثالا نظيراً، وقريناً دالاً تقاس به حال على حال، وموقف بموقف، ونظرة بنظرة وواحد باخر، وفرد بمجموع، وهو يجمع بين دلالات الأخبار، والتمثيل والتخييل.

ولاشك في ان المثل يمتلك الخاصية التجريدية حيث يخرج من منعطف الدلالة التمثيلية الخاصة، والمحددة الى المطلق والمجرد، فهو يكف بعد تداوله تاريخياً عن ان يلتزم بواقعته المحددة التي تنصب على كل حالة مماثلة او نظيرة.

ويذكر المستشرق الألماني زلهايم على العرب هذه الخاصية التجريدية المهمة والرئيسية التي ينطوي عليها المثل محاولاً إسقاطها عن التفكير العربي الذي هو طبقاً لرؤيته تفكير بدائي فالمثل لديه ((ليس تعبيراً لغوياً في شكل جملة تجريدية مصيبة تنصب

1 ينظر: الامثال العربية القديمة، زلهايم: 20.
2 القاموس المحيط، الفبروز ابادي: 49/4.
3 مجمع الامثال، الميداني:5/1.
4 ينظر: زلهايم:23.
5 ينظر المصدر نفسه: 24-25.
6 المصدر نفسه: 26.

على كل حالة سواء، لان الصياغة الفكرية تخرج عن القدرة التجريدية للشعب البدائي، فالتفكير الواضح للشعب وللشعراء يفوق في التأثير النفسي طريقة التعبير التجريدية بكثير))[1].

ولاشك في ان هذه النظرة هي نظرة غير محايدة ومتعصبة، كما إنها تسلب المثل أيضاً مظهره الأدبي بوصفه نوعاً نثرياً يرتكز في صياغته على فاعلة المجاز على نحو كبير الذي تتسم فيه على درجات متفاوتة من الوضوح والغموض، ويجمع بين التجريد والتجسيد، ولعل نظرة هذا المستشرق لا تخرج عن نظرة سواه من المستشرقين الذين ينعتون التفكير العربي بالحسية والمادية، ويسلبونه خاصة التفكير العقلاني او الفلسفي، ولم تركز هذه النظرة ايضاً على المستويات الادبية التي يخرج اليها المجاز العربي في شكل التعبير المثلي.

أنواع المثل:

صُنفت الأمثال العربية في الكتب والدراسات تبعاً لمقياسين رئيسين، الاول هو المقياس الزمني ويعتمد على عمر المثل وتاريخ ظهوره، اما الثاني فيعتمد على مرجعية المثل او اربعة اعمار هي:

1-الأمثال القديمة وتشمل الجاهلية والإسلامية.

2-الأمثال الجديدة او المولدة وهي التي جمعت منذ القرن الرابع الهجري، وقد افرد لها الميداني مبحثاً خاصاً في نهاية كل فصل من فصول (مجمع الأمثال).

3-الأمثال الحديثة، وقد جمع الأوربيون هذا الصنف من الأمثال قبل غيرهم في القرنين التاسع عشر والعشرين.

4-الأمثال العامة او الشعبية وهي الأمثال المقترنة باللهجات المحلية.

وفي المقياس الثاني الذي يركز على مرجعية الثقافة الأدبية تكون بإزاء أنواع مختلفة للمثل أهمها:

1-الأمثال التي مرجعها حادثة او واقعة.

2-الأمثال التي مرجعها قصة.

3-الأمثال التي مرجعها شعر.

4-الأمثال التي مصدرها حكمة او قول سائر.

5-الأمثال التي مصدرها القران الكريم.

6-الأمثال التي مصدرها الحديث الشريف.

نظرة تاريخية في مؤلفات الأمثال:

ابتدأت حركة التأليف العربية في الأمثال منذ منتصف القرن الاول من القرن الحادي عشر، أي انها امتدت حوالي عشرة قرون، وتوجهت الى العناية بالأمثال بمختلف اشكالها: الناشئة عن الشعر، والشعبية، والناشئة عن القران الكريم والحديث، وشملت في امتدادها مساحات جغرافية واسعة، وقد قست دراسات الأمثال[2] مراحل التأليف للأمثال العربية على النحو الاتي:

1-المرحلة الاولى: مرحلة الاخباريين والقصاص.

2-المرحلة الثانية: مرحلة الادباء واللغويين.

3-المرحلة الثالثة: وهي المرحلة المختلطة وقد تم التصنيف فيها على اساس موضوعاتها او مرجعياتها التي مر الحديث عنها.

4-المرحلة الرابعة: المرحلة المعجمية أي معجمات الأمثال ومنها كتاب مجمع الأمثال للميداني.

1 الامثال العربية القديمة: 27.

2 ينظر: الامثال العربية والعصر الجاهلي، محمد توفيق ابو علي: 43-44.

بين الأمثال القديمة والمولدة:

اثارت دراسات الأمثال قضية تراجع العناية بالأمثال القديمة وخفوت بريقها، وعزت الأسباب في إلى اثر الأمثال المولدة[1]، التي لم تستطع كتب الأمثال حتى عصر الميداني ان تقف في طريقها، فالأمثال التي جمعها حمزة الأصفهاني، والعسكري، والميداني، كانت تزداد يوما بعد يوم.

ولا تزال هذه القضية متصلة إلى وقتنا هذا فالأمثال التي جمعت في القرنين التاسع عشر والعشرين لا تشبه في شكلها الأمثال القديمة إلا في النادر، ويفضل العامة الأمثال الدارجة في لهجاتهم، أما المتعلم فانه يعرف كثيرا من الأمثال العربية القديمة[2].

وتدخل في هذا الإطار قضية صناعة الأمثال أو صياغتها وابتكارها، واصطنع العرب في هذا الاطار الأمثال التي هي على وزن (افعل) أو صيغة أفعل، وهي أمثال مصطنعة أقحمها الرواة وصناع الأمثال على غرار الأمثال الأصيلة، وهي على كثرة ورودها في مدونات الأمثال المستحدثة مافيا الرواة إلى المثل القديم ؛ ولعل السبب في اختيار هذه الصيغة (افعل)، إنها تمثل صورة المبالغة لديهم، ومن عادة العرب أن تبالغ في وصف الشيء، ومن ذلك: أبعد من النجم، وأبين من وضح الصبح، وأبصر من عقاب، واسخى من حاتم، وهم في ذلك يقيسون على مثلات أو قدوات هي في العادة تكون من الناس أو الحيوان أو النبات أو الجماد، تحولت صفاتها من الواقع المألوف فصارت رموزا أو نماذج، والملاحظ أن العربية تنفرد في امتلاك صيغة هذا المثل، ومن الجدير بالذكر إن هذه الأمثال كانت محدودة في عددها، ثم كثرت كثرة شديدة في مدونات الاتجاه الإسلامي المستحدث[3].

ترجمة الميداني:

هو احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم الميداني، ابو الفضل النيسابوري، والميدان محلة من محال نيسابور كان يسكنها فتنسب اليها، مات في رمضان سنة ثمان عشر وخمسمائة، ليلة القدر ودفن بمقبرة الميدان، قرأ على ابي الحسن علي بن احمد الواحدي، وعلى يعقوب بن احمد النيسابوري.

ويذكر ان الزمخشري قد حسده على جودة تصنيفه، واخذ تصنيفه واخذ القلم وزاد في كلمة الميداني (نوناً) فصار النميداني، ومعناه بالفارسية الذي لا يعرف شيئاً، فلما وقف الميداني على ذلك، اخذ بعض تصانيف الزمخشري فصير ميم نسبته (نوناً) فصار الزنخشري، ومعناه المشتري زوجته[4].

القراءة الداخلية:

في البدء لابد من القول بأن ما تثيره هذه القراءة الداخلية من نظرات أو أفكار تنظر الى الخاص (كتاب مجمع الأمثال) من خلال العام (المثل)، فما تثيره هنا من تصورات تمس دراسة المثل تنطبق على كتاب مجمع الأمثال- موضوع بحثنا بوصفه أنموذجاً لدراسات الأمثال التي تحتضن المثل، وتصطبغ بألوانه.

نظرة اولى: منهج كتاب مجمع الأمثال:

اتبع الميداني في كتابه المنهج الذي ترسمه الخطوات الاتية:

- احصى الميداني في كتابه ستة الاف مثل ونيف، وربط اسم الكتاب (مجمع الأمثال) بهذا الكم من الأمثال فهو مجمع لها لاحتوائه على عظيم ما ورد من الأمثال على ما يرى الميداني[5].
- اعتمد المؤلف على المؤلفات السابقة على مؤلفه، ومما يذكره في هذا الموضوع: (طالعت في كتب الائمة الاعلام ما امتد ومن تقصية الايام نفسها، مثل كتاب ابي عبيدة، وابي عبيد، والاصمعي، وابي زيد، وابي عمرو، وابي فيد، ونظرت فيما جمعه المفضل

1 دراسات في المثل العربي المقارن، عبد الرحمن التكريتي: 56 – 57.
2 ينظر: زلهايم: 46-47.
3 ينظر: الامثال في النثر العربي القديم، عبد المجيد عابدين: 89-90.
4 ينظر: معاجم الادباء، ياقوت الحموي 2/107-108، ووفيات الاعيان، لابن خلكان:130/1.
5 ينظر: مجمع الامثال: 5/1.

بن محمد، والمفضل بن سلمة، حتى لقد تصفحت اكثر من خمسين كتاباً، ونخلت ما فيها فصلاً فصلاً، وباباً باباً، وقد نقلت ما في كتاب حمزة بن الحسن الى هذا الكتاب، الا ما ذكره من خرزات الرقي، وخرافات الاعراب، والأمثال المزدوجة لاندماجها في تضاعيف الابواب[1].

- ويوضح الميداني نظام تبويبه للأمثال او فهرستها قائلاً: ((وجعلت الكتاب على نظام حروف المعجم في اوائلها ليسهل طريق الطلب على متناولها، وذكرت في كل مثل من اللغة، والاعراب ما يفتح الغلق، ومن القص والاسباب، ما يوضح الغرض ويسيغ الشرق مما جمعه عبيد بن شريه وعطاء بن مصعب، والشرقي بن القطامي، وغيرهم... وافتتح كل باب بما في كتاب ابي عبيد او غيره، ثم اعقبه بما على افعل من ذلك الباب، ثم أمثال المولدين، حتى اتى على الابواب الثمانية والعشرين على هذا النسق[2].

نضرة ثانية: قراءة النوع

تجلي هذه القراءة إشكالية النوع التي تنتظم في قضاء الانتساب أو التجنيس وهي نائية توافقية يمكن ردحيها إلى خطين كبيرين يتعلقان بنسبة المثل وتجنيسه.

أما الخط الأول هو خط الانتساب وقوامه تلك النظرة اللغوية العامة أو الأدبية، التي تسلب المثل خاصيته الأدبية ومظاهر شعريته، وتجعله مقياسا لدراسة الجمل القصيرة وكيف تتكون، بل تجعله مقياسا أيضا لجلاء نمط عبث الشعوب بالألفاظ والمعاني[3]، ويبقى المثل ضمن هذه النظرة قلقا وغير مستقر، ومنتميا الى مجال ثانوي يبخسه حقه الأدبي، وما يمتلكه من مثول إبداعي لا يمكن التغاضي عنه.

أما الخط الثاني فهو خط التجنيس الحقيقي للمثل، وينتمي المثل في هذا الموضع إلى النوع النثري العربي، بوصف المثل من أشكاله المميزة المحتفية ببهاء الصياغة العربية النثرية التي تستأهل تحليلها، والوقوف عند أسرارها، خارج مجال الاستشهاد اللغوي الذي تعنى به الدراسات اللغوية المعنية بتقصي الغريب والشاذ.

وفي هذه القراءة أي قراءة النوع تلمس عناية مزدوجة بشعرية المثل يتمثل حدها الأول في العناية البلاغية بالمثل وهنا تبرز صيغة المثل موضعا للعناية والدرس.

اما حدها الثاني فيعنى بمرجعية المثل، او بما يسمى بـ(اطار المثل) ويدرس المثل ضمن هذا الخط او الحد دراسة سردية، لان قصة المثل ركن اساس في بنية المثل داخل مؤلفات الأمثال، ومن ثم فان قصة المثل هي شكل حكائي يدخل ضمن الأشكال السردية القديمة التي لم يعن بها عناية كافية عنايتهم بالخرافة أو المقامة او السيرة، وتجدر الاشارة الى ان تلك القصص لا ينظر اليها في ضوء وقائعيتها او صدقها الواقعي، فالأهمية الوقائعية لتلك القصص مفقودة، فاغلب تلك القصص مفتعل على ما يرى زلهايم[4]، مما يفرز قيمتها السردية –الفنية.

ومن هنا صار من الضروري أن نلتفت إلى ما هو فني – نصي في الأمثال بعد أن قطعت الدراسة الخارجية بضروبها المختلفة اشواطا مهمة، وبعد أن قطعت الدراسات الموضوعية للمثل اشواط اكبر.

نضرة ثالثة: الدراسات الموضوعية – قصية المثل

تثار في هذا الموضع إشكالية (قصية) المثل، وما يراد منه، وتبدو هذه المقاصد المختلفة في القاهر، إلا أنها مجاري في البطن، أولها التسلية أو المتعة، وثانيها الحكمة والموعظة، وثالثها الأحداث أو الوقائع، ورابعها غريب اللغة وشاردها ... الخ.

ويجمع احد الدارسين[5] نص المثل بصياغاته وتحولاته يتنقل من الاخبار الى التمثيل ثم التخييل وبذلك تلمس تميزه من بين

1 ينظر: المصدر اعلاه: 4/1
2 م، ن: 4/1
3 ينظر: الامثال في النثر العربي القديم، عبد المجيد عابدين:26.
4 ينظر: الامثال العربية القديمة: 50..
5 ينظر: التشكيل السردي في كتب اغلامثال مع عناية بكتاب المفضل بن محمد الضبي (امثال العرب)، لؤي حمزة عباس: 11.

أنواع السرود العربية.

ويمكن أن نرد هذه المقاصد كلها إلى الجانب الموضوعي للمثل الذي تتم دراسته في ميادين مختلفة منها الدراسات الاجتماعية، أو المأثورات الشعبية، وغيرها، ونقديا تختزل بعض الدراسات هذا البعد الموضوعي للمثل عبر تصنيفه في نمط خطابي محدد هو الخطاب التعليمي[1].

هذا من جانب، ومن جانب آخر نجد في قصدية المثل البعد الموضوعي اللافت للنظر، فالمثل يمتلك تنوعا مرجعيا، وهو ينتقل بين طوريه الشفاهي، والمكتوب او المدون، ليجمع بين اللغة، والشعر والحوادث التاريخية، وأيام العرب، والأحاديث النبوية، والطرائف، وطبقا لهذه الموضوعات تم تقسيم المثل مرجعياً أو موضوعياً.

القراءة النصية (الأسلوبية):

بعد أن ناقشنا ما يمكن أن يثار حول (إطار) المثل من إمكانات القراءة السردية التي تتناول قصة المثل، وما تتفرع إليه من عناصر البنية السردية وأهمها: الزمان والمكان والشخصيات والأحداث أو ما يمكن إجماله بالراوي، والمروي، والمروي له، يثير المثل إمكانات قراءات نصية أخر هي القراءة الأسلوبية، والقراءة التأويلية.

وتجدر الإشارة إلى أن الدراسة الأسلوبية للمثل تركز على نص المثل أو صيغة المثل، إذا ما قسمنا المثل على قسمين هما: (صيغة المثل) و(إطار) المثل أو سياقه.

ويلفت نظرنا في حدود القراءة الأسلوبية لكتاب (مجمع الأمثال) عدد من المهيمنات الأسلوبية نكتفي بتأشيرها لأنها تستأهل دراسة أسلوبية مستفيضة.

بدءاً لابد من الإشارة إلى أن مجمع الأمثال للميداني ينتمي إلى ضرب من التأليف المعجمي من بين مؤلفات الأمثال الأخرى، إلا أن هذا لا يمنع من أن ننظر إلى الأمثال التي يضمها نظرة أسلوبية فالدراسة المعجمية للأمثال، هي أقرب إلى المختارات إذا ما نظرنا إليها في ضوء المقولة التي تقول: ((إن اختيار الرجل قطعة من عقله))[2].

أسلوبيا نجد في مجمع الأمثال اسلوبية بنية موحده في عرض الأمثال لنتحد وحداتها بيتانيا على النحو الآتي:

بنية المثل (صيغة المثل) قصة المثل الشرح اللغوي

مرويات متفرقة تعرية المثل، أو بيان مناسبة المال

ومن الضروري التنبيه الى ان الميداني يختزل بعض هذه الوحدات في عرض قسم من الأمثال، ولكن من دون أن يخرج على اطار هذه الوحدات، فهو يكتفي في احيان كرد بايراد صيغة الم وشرح مختصر له، ولا يؤطر المثل بذكر قصة المثل، ووجدت الدراسة أن هذا ينطبق بخصة على الأمثال التجريدية، العارية من التشخيص أو التجسيد ومنها:

إن في الشر خبارا، أو أن الحديد بالحديد يفلح[3].

أو أن تختزل الوحدات البنانية إلى صيغة المثل فقط من دون قصة أو شرح لغوي ومثال ذلك ما أورده من أمثال المولدين، والجزء الأغلب من الأمثال التي صيغت على وزن افعل أو تلك التي يصطلح عليها بالأمثال المصنوعة، ومن الطبيعي أن لا يورد الميداني لها أصولا قصصية عربية أو شرحا لغويا لأنها مترحلة من ارض غريبة إلى الأرض العربية.

وإذا أردنا أن نفاضل بين الوحدات البنائية التي مر ذكرها في مجمع الأمثال وجدنا عناية الميداني بوحدة التفسير والشرح (قصدية المثل) من دون عناية مجانسة او مساوية بوحدة الإنتاج المعبر عنها ب قصة المثل، أو أخبار المثل وما حيك حوله من مرويات، وهذا يعود، مما هو ظاهر، بالهدف المعجمي الكبير في الكتاب الذي يقوم على حفظ مادة المثل وجمعها بالمقام الاول.

وهنالك تفاوت في هذا الأمر بين أمثال مختزلة في وحدات الإطار وأخرى بلغ فيها الاستطراد شانا كبيرا في ذكر قصة المثل

1 ينظر: الأدب والغرابة، عبد الفتاح كليطو: 17.
2 كتاب الصناعتين: ابو هلال العسكري: 9.
3 مجمع الامثال: 11/1.

وانتقالاته وجمع الأخبار عمن قيل فيهم المثل ومثال ذلك المثل الذي يقول:

إن العصا قرعت لذي حلم

فاستطرد الميداني في ذكر الأخبار عمن قرعت له العصا من الرجال وذكر القصص والمرويات في هذا المثل[1].

ونقف على الضد من ذلك في الأمثال التجريدية التي مر ذكرها حيث ترد في الأغلب وهي عارية من الإطار المرجعي، ونلمس دلالة الحكمة واضحة ومجسدة نتيجة لفضاء الإطلاق الذي تحوم فيه

إن الحماة أولعت بالكنة

وأولعت كنتها بالظنة [2]

وهذا المثل هو من ضرب الأمثال الشعرية وعند تحليله على النحو الآتي تظهر لنا دلالة الإطلاق واضحة من التجريد:

فواعل المثل:

الحماة: إطلاق (تجريد لا حماة بعينها)

الكنة: إطلاق (تجريد لا كنة بعينها)

الظنة: إطلاق (تجريد لا ظنة بعينها)

ومثله المثل الآتي: النساء شقائق الأقوام[3]

فواعل المثل:

النساء: إطلاق

شقائق: إطلاق

الأقوام: إطلاق

وفي إشارة أسلوبية اخرى تخص منهج الكتاب نجد أن الميداني قد خرج على المقياس التاريخي: اتبعه في مستهل كتابه إذ افتتح كتابه بالمثل المقتبس من الحديث النبوي الشريف:

إن من البيان لسحرا[4]

وفي هذا الاختيار قصدية تتم عن منهج ديني لان الترتيب التاريخي البدء بالأمثال الجاهلية ثم الإسلامية ثم المولدين.

وفي إشارة أسلوبية أخرى نلحظ هيمنة بنية التوكيد على الأمثال التي تم إيرادها في باب الهمزة ومنها:

إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى[5]

وان لم يكن وفاق ففراق[6]

والملاحظ على مجمع الأمثال بصدد هذه الإشارات الأسلوبية هيمنة الجمل الاسمية على الفعلية في صيغ المثال، ولا يخفى ما تمثله الجمل الاسمية من دلالة الثبات والاستقرار وسنلحظ أهمية هذه الالتفاتة الأسلوبية إذا قرناها بالغرضية الغالبة على الأمثال وهي الحكمة والموعظة فتساعد تلك الجمل على تثبيت آلية الحكمة.

والملاحظ على صيغ الأمثال بعامة أنها صيغ متغيرة عبر التاريخ، ولكنها محافظة على دلالتها ولم تحص كتب الأمثال إلا في النادر التحولات التي طرأت على صيغها أو أبنيتها اللسانية وهي صيغ ولم تحص تغلب عليها الصنعة كلما ابتعدنا عن العصر الجاهلي باتجاه الأمثال الإسلامية والمستحدثة، ولا سيما أمثال المولدين، والأمثال القياسية المصنوعة على صيغة أفعل، حتى يمكن

1 المصدر نفسه: 37/1
2 م.ن: 11/1
3 م.ن: 29/1
4 مجمع الامثال: 7/1
5 م.ن: 7/1
6 م.ن: 51/1

تقسيم الأمثال إلى مطبوعة (الأمثال القديمة) والمصنوعة (الأمثال المولدة والقياسية).

وفي صيغة أفعل القياسية التي مال صناع الأمثال إليها تعزو هذه الدراسة اختيارهم لهذه الصيغة لما تمتلكه من دلالة المبالغة أو التكثير، ومجانستها لموضوع الحكمة التي تختار الأمثال الأنموذج والمثال المبالغ والقادر على رسم الدلالة وترسيخها وقد أفرد الميداني مبحثا لهذه الأمثال.

ولاحظنا كذلك إشارات أسلوبية جديرة بالعناية والاهتمام في باب الميم وهي هيمنة الأمثال التي تبدأ بالاسم الموصول (من) الذي يعزز دلالة الإطلاق أيضا ومنها:

من أكثر الحجر[1]

و من اغتاب خرق، ومن استغفر رقع[2].

في باب الأمثال التي أولها (لا) ومنها:

ولحظنا كذلك أن بعض الأمثال قد خرجت على منهجية الكتاب الأسلوبية وصنفها الميداني في باب الأمثال التي اولها (لا) ومنها:

لا أحب تخديش وجه الصاحب[3]

ولابد للمصدور أن ينفث[4]

ولا شك في أن ما تقدم من إشارات أسلوبية لا تشتمل على كل ما يحتويه مجمع الأمثال من مظاهر أسلوبية، وإنما على بعض منها فهي تستقضي دراسة أسلوبية موسعة.

وتعبر صيغ المثل في تنويعاتها الأسلوبية عما امتلكته العربية من طاقة شعرية عالية تقوم على فاعليتي الإيجاز والتأثير. وتجسد جمالية النثر العربي في آن واحد من أشكاله الفنية المهمة.

الخاتمة:

حاولت هذه القراءة الأولية لكتاب مجمع الأمثال للميداني ان تسلط الضوء على فاعلية المثل بوصه شكلا نثرياً فنياً ينتظم ضمن النوع النثري العربي، وعلى كتاب مجمع الأمثال بوصفه أنموذجاً لكتب الأمثال المعجمية التي احتضنت اكبر عدد من الأمثال العربية حتى عده موسوعة للأمثال العربية.

وفيما تقدم حاولت هذه الدراسة النظر إلى الأمثال في ضوء نظرتين الأولى تيدا من العام إلى الخاص والثانية تبدا من الخاص إلى العام لتخلص بالنتيجة إلى أن ما يمكن أن يتار في العام من ملحوظات وأفكار وإشارات تخص المثل عامة تنطبق على المتحقق الخاص منها في مجمع المال، والعكس صحيح.

ولا شك في أن ما تحتويه الأمثال من ثراء معرفي وتنوع موسوعي جعلاه موضع علاية الدارسين لما يزيد على عشرة قرون، تنقل فيها المثل على خارطة التدوين العربي ليكون من أجلى تضاريسها.

ولا شك في أن كثيرا مما حددته هذه الدراسة من إشارات أسلوبية تصلح لأن تكون نواة ليح أسلوبي يتناول صيغة المثل.

1 مجمع الامثال: 297/2
2 م.ن: 297/2
3 م.ن: 240/2
4 م.ن: 241/2

المصادر:

1. الأدب والغرابة، عبد الفتاح كليطو، دار الطليعة، بيروت، 1982.
2. الأمثال في النثر العربي القديم، عبد المجيد عابدين، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، 1989.
3. الأمثال العربية القديمة، رودولف زلهايم، ترجمة د. رمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة، دار الأمانة، بيروت، الطبعة الأولى، 1971.
4. الأمثال العربية والعصر الجاهلي، محمد توفيق ابو علي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، 1988.
5. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الخامسة، 1980.
6. التشكيل السردي في كتب الأمثال مع عناية بكتاب المفضل الضبي (أمثال العرب)، لؤي حمزة عباس، أطروحة دكتوراه، الآلة الكاتبة، كلية الآداب، جامعة البصرة، 2001.
7. دراسات في المثل العربي المقارن، عبد الرحمن التكريتي، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1984.
8. القاموس المحيط، الفيروز أبادي، المؤسسة العربية، دار الجيل – بيروت.
9. كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب، 1971.
10. مجمع الأمثال، لأبي الفضل احمد بن محمد بن إبراهيم الميداني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الثانية، 1959.
11. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، اعتني بشرحه وتصحيحه د.س مرجليوث، مطبعة هنديه، الطبعة الثالثة، 1924.
12. وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، 1948.